الدلالات القيادية و المقاومة في شخصية الشهيد الحاج قاسم سليماني

■ حوار مع القائد حسين دهقان

حسين دهقان، قائد عسكري و أحد السياسيين الإيرانيين، تقلّد عدّة مناصب بما فيها منصب وزير الدفاع، و حالياً يشغل منصب مستشار القائد الأعلى للقوات المسلحة في شؤون الصناعات الدفاعية و الإسناد الحربي. عمل القائد حسين دهقان مع الحاج قاسم سليماني وعايش نشاطاته عن كثب طوال سنوات الدفاع المقدس و ما بعدها.. يعتقد السيد دهقان أنّ الجنرال سليماني استطاع خلال توليه قيادة " فيلق القدس " أن يمنح عمليات التحرير هويتها الخاصة، و ينتج منظومة منسجمة لحماية و صيانة هذه الهوية الثورية في المنطقة. .وقد أثار القائد دهقان في حواره مع مجلة دراسات السياسة الخارجية، ملاحظات ملفتة عن الشهيد سليماني ونظراً لأهميتها نستعرض فيما يلي ابرز ما جاء فيها:

Al WAHDAH, 2022

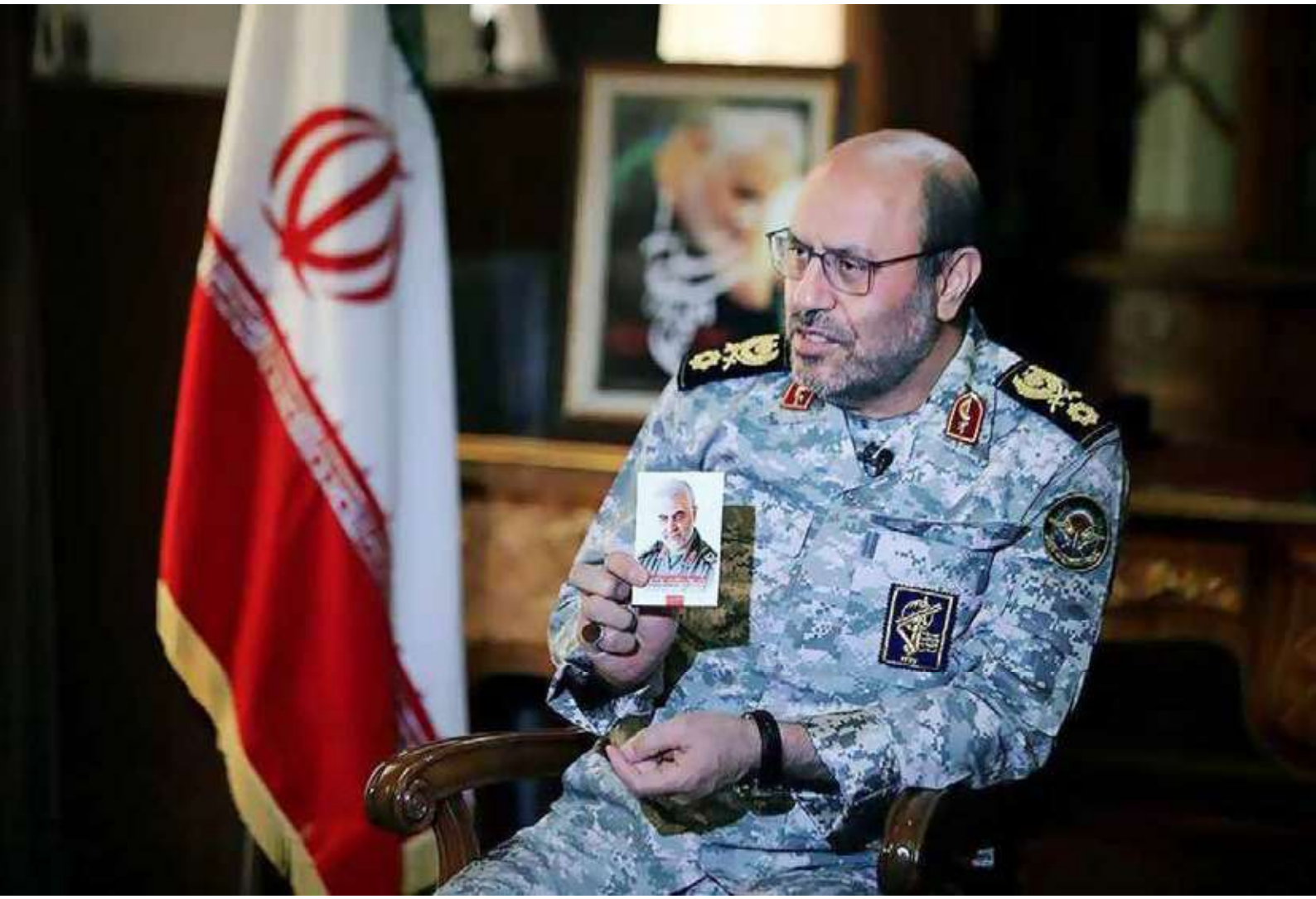

في حديثه عن الدور الذي اضطلع به الحاج قاسم خلال مرحلة الدفاع المقدس ـ الحرب العراقية الايرانية ـ و عبقريته الفردية و التنظيمية، و استعراض الخصوصيات التي أخرجته من إطار الشخص ليصبح «مدرسة سليماني» كما نعته سماحة قائد الثورة، يلفت القائد دهقان الى أن الشهيد سليماني تلميذ مدرسة الإمام الخميني، و من ثمّ ترعرع و تكامل في مدرسة سماحة القائد، و أنّ كل ما فعله صادر عن جوهره المستلهم من المفاهيم و المعارف الإسلامية. لقد جاء الحاج قاسم كأيّ فرد عادي مع بعض الشباب الكرماني في فترة الدفاع المقدس لينخرط في الدفاع عن الوطن. في البدء، لم تكن هذه المجموعة تحمل أيّ عنوان مثلاً لواء أو منظمة أو غير ذلك لأنّ هذه الوحدة كانت قد تشكّلت حديثاً ضمن قوات حرس الثورة هدفها القيام

> **أن الشهيد سليماني تلميذ مدرسة الإمام الخميني، و من ثمّ ترعرع و تكامل في مدرسة سماحة القائد، و أنّ كل ما فعله صادر عن جوهره المستلهم من المفاهيم و المعارف الإسلامية.**

بالعمليات المشتركة الكبرى بمعيّة الجيش، بيد أنّ الحاج قاسم كان يتوفّر على القدرات و الإمكانات و العبقرية و المسؤولية ممّا أتاح لهذه القوة الصغيرة أن تدخل ميادين القتال بسرعة فائقة، و سرعان ما حوّل الشهيد هذه المجموعة من شباب كرمان إلى لواء عظيم هو لواء "ثار الله" و الذي كان له دور كبير في جميع مراحل الدفاع المقدس تقريباً، و يمكن القول أنّ هذا اللواء منذ عمليات الفتح المبين فما بعد شارك في جميع العمليات التي أنيطت بالجيش و حرس الثورة بلا استثناء و حتى انتهاء الحرب، حيث كان اللواء ٤١ ثار الله بقيادة الحاج قاسم سليماني أحد الوحدات الدفاعية الرئيسية التي كان لها دور في جميع

مراحل الدفاع المقدس، و بعد الحرب أيضاً كان لهذا اللواء و قائده سليماني دور في جنوب شرق البلاد لمحاربة الجرائم المنظمة لتهريب المواد المخدرة أو الوحدات المنظمة التي كانت تقوم بعمليات التهريب و تعيث بأمن المنطقة فساداً و من هناك التحق بفيلق القدس.

و يمضي بالقول: لقد استطاع الحاج قاسم أن ينجز عدّة مهام في فيلق القدس، و هي إنجازات كبرى تحسب له. المهمة الأولى إضفاء هوية على عمليات التحرير في العالم الإسلامي، و حيثما كانت هناك مجموعة تلبس لباس المقاومة و تحارب الظلم و الاستبداد و تقف بوجه أطماع النظام السلطوي العالمي و المنظومة الاستكبارية و كذلك الصهاينة، فحوّل هذه الهوية إلى هوية عالمية تتمحور حول مدرسة الإمام الخميني و أهداف سماحة القائد ، هذه المهمة الأولى الكبرى التي أنجزها من دون أن يقوم بسلخ تلك المجموعات المقاومة من بيئتها و محيطها الجغرافي، أي بعبارة أخرى، استطاع تبيئة المجموعات المقاومة بنحوٍ ما و يغرس جذورها في أعماق قلوب مجتمعاتها و بيئاتها المحلية الحاضنة حتى تحوّلت حركات المقاومة إلى أشجار وارفة الظلال تستطيع اليوم أن تتكئ على قواعدها و قدراتها الذاتية لتواصل مسيرة حياتها.

و تابع: أما المهمة الثانية فهي استحداث منظومة و علاقات يمكن لهما بنحوٍ أو بآخر أن يمنحا التواصل و الاستمرارية للهوية آنفة

> **اتسمت شخصية الحاج قاسم بـ "تمحوره حول الولاية"، بمعنى أنّه كان طوع أوامر القائد و رهن إشارته و المنفّذ لتوجيهاته، وكان يرى أنّ السير في هذا الطريق يجمع بين مرضاة الخالق و بين فلاح المرء و سعادته.**

الذكر، بمعنى إذا حوّلنا المهمة الأولى فقط إلى مضمون أو جوهر فعلينا أن نحوّل المهمة الثانية إلى وعاء أو بنية تستطيع أن تحرّك ذلك المضمون أو الأهداف و المطالب بطريقة ما و تترجمها على أرض الواقع و تتكفلها بالرعاية و العناية لتنمو و تتطوّر بمرور الوقت. و بالنسبة للمهمة الثالثة التي يمكن القول أنّ الحاج قاسم استطاع إنجازها خلال هذه الفترة، سواء في الداخل ضمن القاعدة التي اضطلع بمسؤوليتها خلال مرحلة الدفاع المقدس، أو خلال هذه المدة التي تفرّغ بشكل رئيسي لمسؤوليته في قوة القدس، هي إعداد و تربية العناصر و الكوادر، أعني إعداد القادة و العناصر القادرة على لعب دور خلاق و إبداعي كلّ في مجال اختصاصه. و بعبارة أخرى، تحقيق نوع من الاكتفاء الذاتي و الاتكاء إلى القدرات الذاتية، و خلق الثقة بالنفس و العزة في نفوسهم أي عنصر المقاومة و الثبات. و كان من السهل أن يخلق هذه الصفات في نفوس كوادره و عناصره لأنّه هو نفسه كان يتوفّر عليها.

> **كان الحاج قاسم يتحلى بملكة القيادة، أي كان قادراً في الأوقات العصيبة التي يمرّ بها هو و رفاقه أن يحوّل الطريق المسدود إلى فرصة وإلى منصة للانطلاق من جديد و إلى قفزة أكبر، فيمتصّ الضربة الموجهة لقواته و من ثمّ يخلق أجواء واسعة لرفاقه.**

و اضاف: كان الحاج قاسم يتحلى بملكة القيادة، أي كان قادراً في الأوقات العصيبة التي يمرّ بها هو و رفاقه أن يحوّل الطريق المسدود إلى فرصة وإلى منصة للانطلاق من جديد و إلى قفزة أكبر، فيمتصّ الضربة الموجهة لقواته و من ثمّ يخلق أجواء واسعة لرفاقه. هذه القدرة على خلق شعور الثقة بالنفس و الاتكاء إلى الذات و الشعور بالزهو و العزّة و الاستقلال، هي الشيء الذي استطاع الحاج قاسم أن يمنحه أثناء فترة قيادته لمقاتليه و كل من حوله. و في نفس السياق نقول بأنّها القدرة العالية على القيادة الشجاعة. فقد كان شجاعاً و في نفس الوقت جسوراً. كان يخاطر من أجل تأمين الراحة و الاستقرار و الأمن للآخرين، كان يعرّض راحته و استقراره و أمنه للخطر، و لكن مع ذلك لم يكن يُقدم على مخاطرات مكلفة أبداً ، بمعنى أنّ تدبير الأمور هو إنجاز العمل بأقل القدرات المتوفرة و تحقيق أكبر عدد من الأهداف و بأقل الخسائر و التضحيات، هذه أيضاً كانت مسألة مهمة في الجانب القيادي للحاج قاسم. باختصار الحاج قاسم كان قائداً عسكرياً و قائداً سياسياً و زعيماً جامعاً قادراً على المأسسة و على توسيع و نشر الثقافة الصحيحة، كما كان قادراً على الكشف عن العناصر الجيدة و الكفوءة و الاستفادة منها و تكثيرها، و أخيراً استطاع أن ينزل ما يجول في خياله و ذهنه من طموحات و أهداف إلى أرض الواقع، أي أن يعمل على مأسسة و تقنين الطموحات و الصورة المثالية التي كان يسعى إليها.

و حول خصوصيات الحاج قاسم و مزاياه الشخصية، يذكر القائد دهقان: هناك عدّة خصال بارزة فيه، في مقدمتها إخلاص الحاج قاسم و نقاؤه. و لعلّ البعض يعتقد أنّي أبالغ إذا قلت بأنّه حتى أنفاس الحاج قاسم كانت لمرضاة الله، بمعنى، لم يسعَ يوماً أبداً إلى المنصب أو الجاه أو الشهرة و الاعتبار أو العلاقات العامة و ما إلى ذلك، المهم عنده هو أن يكون عمله خالصاً لله و نيل مرضاته. كذلك اتسمت شخصية الحاج قاسم بـ " تمحوره حول الولاية "، بمعنى أنّه كان طوع أوامر القائد و رهن إشارته و المنفّذ لتوجيهاته، و كان يرى أنّ السير في هذا الطريق يجمع بين مرضاة الخالق و بين فلاح المرء و سعادته. واضاف: كذلك عرفت شخصية الحاج قاسم بـ " البعد الثوري "، ذلك أن الحاج قاسم لم يكن مستعداً للمساومة على حدود الثورة و قيمها مطلقاً ، أو أن يتخلّى عنها أو يتهاون فيها. فمثلاً كان يصرخ عندما كان الوضع يتطلّب ذلك، و كان يتواصل عندما كان الوضع يتطلّب التواصل، و كان يقدّم المساعدة و العون عندما كان الوضع يقتضي ذلك، كان العمل الثوري هو المهم عنده، فهو البوصلة و الميزان لسلوكه.

و يتطرق القائد دهقان الى الجانب المعنوي عند الحاج قاسم موضحاً: المسألة المعنوية عند الحاج القاسم و الأبعاد الروحانية في شخصيته من المسائل الهامة جداً. للإمام الخميني عبارة يقول فيها « راجعوا وصايا الشهداء ... فهؤلاء قطعوا طريق المئة عام بالنسبة لسالكي درب السلوك و العرفان في ليلة واحدة». الحاج قاسم كان قد سلّم أمره لخالقه، و في المقابل أعطاه الله كل ما تمنّى، لم يذهب لمدرسة و لم يتلقّ الدروس، بل إخلاصه كان كل رأسماله طبقاً للرواية الشريفة «من أخلص لله أربعين يوماً فجّر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». هكذا كان الحاج قاسم حقاً، حيث طغى البعد المعنوي و الروحاني في شخصيته فطهره. لقد وضع نفسه في مسير فيض النور الإلهي، فأمسك بأطراف العلم و الحكمة و البصيرة و الفهم، وكان يحمل كل ذلك في ذاته.

و يتناول القائد دهقان جانباً آخر من شخصية الحاج قاسم قائلاً: كانت للحاج قاسم نظرة

الأمريكان يعتقدون بأنّ امتلاكهم للقدرات العسكرية و التكنولوجية المتطورة يتيح لهم فعل أيّ شيء. لم تكن قاعدة عين الأسد قاعدة عادية بالنسبة للأمريكان. على صعيد النفقات التي أنفقوها هناك، و القدرات التي كانت تحظى بها، و العناصر المتواجدة فيها، و المهام المناطة بهم و غير ذلك، كانت تشكّل شيئاً مهماً بالنسبة للأمريكان. و لذلك عندما قمنا بضربها، فإنّنا بذلك أثبتنا عزمنا و إرادتنا الراسخة على الردّ.

استخباراتية و أمنية خارقة، بمعنى أنّه كان يحسن قراءة الظروف و الأوضاع المحيطة، و قادراً على فهمها و تحليلها بصورة صحيحة. بطبيعة الحال في القضايا التي تتجاوز البعد الوطني إلى البعد الإقليمي، و من البعد الإقليمي إلى البعد العالمي، يتعدّد اللاعبون و تتنوع مطاليبهم و مصالحهم و تتعارض في مكان ما، في هذه الأجواء المعقدة من جهة و الغامضة من جهة ثانية و الواضحة بالنسبة إليك من جهة ثالثة، يصبح عملك جدّ صعب و معقد، لأنّه يتطلّب منك الفطنة و البصيرة و فوق هذا و ذاك القدرة على قراءة الظروف المحيطة بشكل صحيح. و الحاج قاسم كان يملك قدرة خارقة في هذا المجال، أي إنّه كان يتمتّع بقدرة فائقة على تحليل القضايا الأمنية، فضلاً عن القضايا السياسية، أي كان يرى الظروف كما هي على حقيقتها و يحلّلها و من ثمّ يعمل بموجب تحليله.

و يتابع: كما كان سليماني ملماً بالدبلوماسية على الصعد العامة و الأمنية و الاستراتيجية، لذلك كان دبلوماسياً و مفاوضاً جيداً جداً، و كان صريحاً و شفافاً، لأنّه لم تكن لديه تحفظات معينة ، و لم يكن يطلب لنفسه شيئاً. كان الحاج قاسم صادقاً مع نفسه و يتصرّف على سجيته، و كان أريحياً مع الطرف الآخر، كان يقول ما عنده بصراحة و وضوح و يطرح مطالباته على الطرف الآخر و يتابع و يعرض أدلته و أسبابه حتى يقنعه. في المفاوضات ليس كل ما تتمناه يحدث، فالطرف الآخر أيضاً له مطالبات، حيث يقال في أصول الحوار و المفاوضات بأنّ للطرف مصالح أيضاً، لذا، عليك أن تبيّن الأهمية الكبيرة للمصالح التي تنطوي عليها هذه المفاوضات بالنسبة للطرف الآخر لترغيبه على التعاون والمشاركة. هذه الخصوصية، أعني إقناع الطرف الآخر كان الحاج قاسم يمتلكها في معظم الأحيان سواء مع الأتراك أو مع الروس أو مع الآخرين.

ويمضي بالقول: كان الحاج قاسم غاية في التواضع وذا شعبية.هناك عبارة تقال بلهجة أهل كرمان " دعني أقبّل يديك "، كانت هذه العبارة على لسانه دائماً و لم يكن يخجل من قولها على الرغم من رتبة اللواء التي كان يحملها، وكان طبعاً أكبر رتبة عسكرية من كثير من رفاقه سواء داخل قوات حرس الثورة أم خارجها. لم يكن يهتم بالمستويات الإدارية و التسلسل الوظيفي، بل كان العمل و إنجازه و مواكبة الآخرين هي التي تحظى بالاهمية بالنسبة له. نعم، كان المهم عنده إنجاز العمل أيّا كان المسؤول عن ذلك العمل، لم يكن يجد ضيراً في الذهاب إلى ذلك المسؤول و التفاوض معه. كان على درجة كبيرة من التواضع، كان يتواجد بين الناس دون أيّ إجراءات أمنية أو تشريفاتية تذكر، وطبعاً لو أردنا تصنيف الحاج قاسم على المستوى الأمني نقول أنّه يعدّ ضمن الطراز الأول من المسؤولين في البلاد، مع ذلك لم تكن لديه حماية أمنية على مستوى واسع أو عدد كبير من المرافقين الأمنيين، كان بسيطاً جداً مع نفسه ومع الناس، كانت له شعبية كبيرة جداً. باختصار أنّ الإنسانية و الكرامة الإنسانية بالنسبة للحاج قاسم يعبران عن حقيقة موضوعية، فهو لم يكن إنساناً أحادياً، أو بتعبير أوضح، لم يكن مؤدلجاً ليقول بأنّه لا يدافع إلّا عمّن يحمل نفس أفكاره، بل كان يدافع عن التركماني و العربي و المسيحي و الإيزدي وغيرهم. لقد استطاع قاسم أن يزيل الحدود و الألوان. إنّك تجد الآن في لبنان المسيحي و السنّي و الدروزي و .. و كذلك تجد الشيعي، كلهم منخرطون في المقاومة، و هذا خير دليل على أنّه استطاع أن يزيل الحدود المصطنعة التي تفرّق أفراد البشر بعضهم عن بعض. الكرامة الإنسانية هي وحدها التي كانت تشكّل قيمة عليا بالنسبة له. ولهذا الجميع كان يحبه ويكنّ له الاحترام و التقدير في بقاع كثيرة من هذا العالم، فلا تجد بقعة لا يوجد فيها هذا الحضور، أو بتعبير أدق هذا التأييد و المواكبة.

> **كان الشهيد سليماني جسوراً و في نفس الوقت كان يخاطر من أجل تأمين الراحة و الاستقرار و الأمن للآخرين، كان يعرّض راحته و استقراره و أمنه للخطر، و لكن مع ذلك لم يكن يُقدم على مخاطرات مكلفة أبداً ، بمعنى أنّ تدبير الأمور هو إنجاز العمل بأقل القدرات المتوفرة و تحقيق أكبر عدد من الأهداف و بأقل الخسائر و التضحيات.**

و اخيراً و ليس آخراً، يحدثنا القائد دهقان عن حقيقة رد حرس الثورة على عملية اغتيال الشهيدين الحاج قاسم سليماني و ابو مهدي المهندس، موضحاً: الولايات المتحدة تقول بأنّ ردّ إيران لم يكن شيئاً يذكر، حسناً، لم نفعل شيئاً، و لكن مراسليها يذهبون في كل يوم إلى تلك المنطقة و يقومون بتصوير المنشآت و المباني المدمرة في القاعدة المقصوفة و يسرّبون الأخبار بالتدريج. و في بادىء الامر تقول لم يحدث شيء و لم نتكبّد و لا حتى جريح واحد، ثم لاحقاً تقول بأنّها تكبّدت ١١ جريحاً و قتيل. حتى الآن وخلال خمس مرات قدّموا أرقاماً متفاوتة، آخر عدد ذُكر هو ٦٤. لقد اضطرّوا لتسريب أخبار القصف ليبيّنوا ماذا حدث بالضبط. و حتى لو لم يكشفوا عن التفاصيل، فإنّ المنافسين في الحملات الانتخابية سوف يفعلون ذلك!

بالنسبة لنا كنّا دائماً نقول بأنّنا لن نكون البادئين بالحرب. و قلنا أيضاً أنّ من يبدأ الحرب فلن يكون هو من ينهيها. بالفعل وجّهت الولايات المتحدة ضربة لنا، فكان علينا إمّا أن نردّ أو لانردّ. لو لم نردّ أو كان الردّ غير مباشر، ماذا كان سيحصل؟ بالطبع لتشجّعت الولايات المتحدة بعد ذلك على فعل أيّ شيء. أن تأتي خلسة وتشنّ هجمة على مسؤول رسمي في بلد أجنبي وتغتاله ثم تعود أدراجها، نفس الشيء الذي تفعله إسرائيل مع المقاومة فعلته الولايات المتحدة بالضبط. لقد استخدمت هذا التعبير و هو، أنّ

ترامب عندما كان يقول أمريكا أولاً، كان يقصد إسرائيل أولاً، بمعنى، أنّ ترامب لا يفعل إلّا ما تريده إسرائيل ويريده نتنياهو. فهو لا يفعل شيئاً للشعب الأمريكي، و إنما للصهاينة. وعليه كان ينبغي للجمهورية الإسلامية أن تستعرض عدّة أمور، أولاً، لو قلنا أنّ زمن الضرب و الفرار قد ولّى، فهو قد ولّى فعلاً. و إذا قلنا أنّه إذا ضرب فسنضرب، بالفعل ضربنا، كان علينا أن نبيّن عزمنا و إرادتنا الحازمة الدالة على الردّ الحتمي على الأمريكان. ثانياً، أين كان يجب أن نردّ، حيث مستوى الادعاءات الأمريكية في ذروتها. فالأمريكان يعتقدون بأنّ امتلاكهم للقدرات العسكرية و التكنولوجية المتطورة يتيح لهم فعل أيّ شيء. لم تكن قاعدة عين الأسد قاعدة عادية بالنسبة للأمريكان. على صعيد النفقات التي أنفقوها هناك، و القدرات التي كانت تحظى بها، و العناصر المتواجدة فيها، و المهام المناطة بهم و غير ذلك، كانت تشكّل شيئاً مهماً بالنسبة للأمريكان. و لذلك عندما قمنا بضربها، فإنّنا بذلك أثبتنا عزمنا و إرادتنا الراسخة على الردّ. و في المقابل، أوضحنا أنّنا نحطّم الغطرسة و الهيمنة. حتى اليوم كان الأمريكان يرتكبون كل جريمة تحلو لهم و لا يجرؤ أحد على الردّ عليهم. لكنّا قمنا بالردّ. و هذا الردّ كان بمثابة استعراض للعزم و الإرادة الصلبة، و أعتقد إنّ هذا يكفي. و الملفت أنّ أحداً في العالم لم يهنئ ترامب على فعلته باغتيال الحاج سليماني. لم يرحّبوا بهذا التصرّف. لقد قلت وقتها أنّ إسرائيل هي من خطّط لهذه العملية و سعى إليها، و السعودية موّلتها، و قامت الولايات المتحدة بتنفيذها. حتى السعودية لم تجرؤ على أن تنطق بكلمة واحدة. و أعلنت إسرائيل أنّها لم تُبلَّغ بالعملية.

"كان سليماني ملماً بالدبلوماسية على الصعد العامة و الأمنية و الاستراتيجية، لذلك كان دبلوماسياً و مفاوضاً جيداً جداً، و كان صريحاً و شفافاً، لأنّه لم تكن لديه تحفظات معينة ، و لم يكن يطلب لنفسه شيئاً. كان الحاج قاسم صادقاً مع نفسه و يتصرّف على سجيته، و كان أريحياً مع الطرف الآخر."